دور المـــرأة في الحياة السياسية فـــي عهد المرابطين (448-541هـ ــ 1056-1147م)

أ . منى المبروك فـــرج بشير ــ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزّاوية

الملخّـــص :

بلغت المـــرأة مكانةً كبيرةً في عهد المرابطين ، وكانت مع الرجل خطوة بخطوة في شتي ميادين الحياة ـ خاصة في جوانب الدّولة المرابطية السياسية ـ، لا لتزاحمه ؛ إنما لتساعده وتسانده وتتلقي صعاب الحياة معه ، وقد كفل المجتمع المرابطي للمرأة حقها، ولم يحرمها يومًا من أي حق لها ، بل إنه قدّمها وعولَ عليها في كثير الأمور، والمرأة من جانبها لم تخذل مجتمعها ؛ بل كانت داعمة له ، تُعطي كما تأخذ في ملحمة مرابطية رائعة ، ومن الحقوق التي كفلها المجتمع للمرأة في عهد الدولة المرابطيـــة : حق المشاركة السياسية فتدخلت في شؤون الحكم وشاركت في القتال وفي الحروب مع الرجال, ـ أيضا ـ أسهمت المرأة المرابطية في مهمة تولية المناصب والعزل وحتى استشاراتها في الأمور الإدارية الخاصة بالدولة، وقد قسمت الدراسة الي مقدمة تناولت مدخلا للدراسة، ثم مبحثا أول تناول الحديث عن الدولة المرابطية، ثم مبحثا ثانيا تحدث عن المرأة ودورها السياسي مشتملا على عدة أفرع ناقشت تدخل المرأة المرابطة في الحكم ومشاركتها القتال وتوليها للمناصب.

الكلمات المفتاحية : المرأة، الحياة السياسية، المرابطين .

“The role of women in political life during the Almoravids era (448-541 AH / 1056-1147 AD)

Abstract

Women reached a great position during the Almoravid era and were with men step by step in various fields of life - especially in the political aspects of the Almoravid state - not to compete with him, but to help and support him and to bear the hardships of life with him. Almoravid society guaranteed women their rights, and never deprived them of any right. Rather, he gave her priority and relied on her in many matters, and the woman, for her part, did not let her society down, but rather was supportive of it, giving as she took in a wonderful Almoravid epic.

Among the rights that society guaranteed to women during the era of the Almoravid state: the right to political participation, so she intervened in the affairs of government and participated in Fighting and in wars with men, Almoravid women also contributed to the task of assuming positions, dismissing them, and even consulting on administrative matters related to the state.

المقدمـــــــــة :

رفـــع الإســـلام من شأن المرأة وعلّمنا الرسول - صل الله عليه وسلم أن" **النِّسَاءُ شَقَائِـــقُ الرِّجَالِ** "[1]، وعلى مدار التّاريخ الإسلامـــي حظيت المرأة بمكانة مميزة وأصبح دورها بارزًا في دولة المرابطين ، تلك الدولة التي قامت على أسس وضعها الفقيه عبد الله بن ياسين 451 هـ / 1059 م [2]، دعـــي عبد الله بن ياسين الناس إلى العودة إلى الارتواء من نبع الإسلام الصافي، وترك ما شاب عقيدتهم من شوائب، وما عكر صفو حياتهم من مظالم، ولعل هذا ما دفع البكري إلى وصف الدعوة الجديدة بأنها دعوة الحق ورد المظالم [3]، ورفع المرابطون حكامًا ومحكومين شعار المرأة قبل كل شيء، وكان معمولا به في كل مؤسسات الدولة وقد أوصى به ابن عبدون وجعله بمنزلة الواجب على القاضي أن يعجل بالنظر فيما يتصل بهن، ويقدم أمرهن، فإنهن فيما يحتجن إليه من أمورهن عورات ولا ينبغي له أن ينشغل عنهن، فيقعدهن لينظر الناس إليهن، وهذا ما ينبغي على الحاكم فعله في أمرهن [4] ، وقد كان هذا توجها عامًا أن يُنظر في حاجة المرأة فتقضي أولا، نظرًا لضعفها وخصوصية وضعها فهي لا يخرجها من بيتها ويجعلها تتوجه إلى جهة ما إلا ما كان ضروريًا لازما، أو مهما عاجلًا، ولما وافت عبد الله بن ياسين المنية ، كان المرابطون قد اشتدّ عودهم وتحولوا من مجرد دعوة إصلاحية إلى دولة فتية، ظلت وفية لما قامت عليه من مبادئ إسلامية، وكان لهذا الالتزام بالأحكام الشرعية آثار إيجابية على الحياة الاجتماعية، خاصة الجانب الاجتماعي بأبعاده المختلفة. وبالنظر إلى وضع المرأة في دولة المرابطين نجد أن المجتمع قدمها وراعى خصوصيتها وحفظها وكفل لها كامل حقوقها، ولا أدل على ذلك من نسبة كثير من قادة الدولة إلى أمهاتهم كداود بن عائشة، عبد الله بن فاطمة، ومشاركة زوجات الأمراء في أمور الدولة كزينب النفزاويـــة زوجة يوسف بن تاشفين [5]، وفي المقابل قدمت المرأة لأسرتها نماذج رائعة من المساندة والدعم والتضامن مع الزوج في القيام بأعباء الحياة، وقامت تجاه المجتمع

بعدة أدوار إيجابية منها الجوانب السياسية.

واتبعت الدراسة المنهج التاريخي السردي ، وذلك لسرد الأحداث والوقائع التاريخية التي تخـــدم مسار البحث بهدف مناقشتها ومحاولة تفسيرها قدر الإمكان.

المبحث الأول ـ نبذة عن قيام دولة المرابطين :

أوائل القرن الخامس الهجري كانت الرياسة بين القبائل الصنهاجية لقبيلة جدالة وكان يتزعمها ابراهيم بن ترغـوت وخلفه في الرياسة ابنه عمر ثم حفيده يحيى الذي خـــرج سنة 427 هـــ / 1035 م للحـجّ فلقي في طريقه عند العودة الفقيه أبو عمران الفاسي وكان من أكبر فقهاء المالكية في القيروان في عصره فاستمع إلى دروسه وتاقت نفسه إلى أن يرى في بلاده فقيهاً مثله يلقي دروســـه فـــي منازل قبيلته ويعلمهم الكتاب والسنة ويفقههم في الدّين، فضلاً عن رغبته في أن يتمكن من إنقاذ صنهاجة من استبداد الزناتيين (6) ، وتحدث يحيى بن عمر إلى أبي عمران الفاسي في إرسال أحد تلاميذه معه؛ ولكن أحداً من أولئك التلاميـــذ لم يستجب للدعوة لبعد المسافة وخطورة المغامرة فكتب أبو عمران له كتاباً إلى أحد تلاميذه من الفقهاء العاملين في سجلماسة واسمه وجاج بن زلو اللمطي ، وكان وجاج فقيهاً ذا مكانةٍ كبيرةٍ ؛ ولكنه لم يشأ القيام بهذه المهمة نظراً لعلمه بصعوبة قيادة الجداليين، فندب لذلك تلميذاً شاباً من تلاميذه يسمى عبد الله بن ياسين الجزولي (7) ، وكان عبد الله بن ياسين الزعيم الأول للمرابطين ، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم، 451 هـ / 1059 م من فقهاء المالكية , نهض عبدالله بن ياسين لأداء مهمته وتوجه إلى منازل قبيلة جدالة وبدأ يعمل وكان نشطاً متحمساً واسع الطموح فلم يقتصر على تعليم الجداليين شعائر الدين؛ بل أراد أن يهذّب أخلاقهم ويخرجهم عن حياة الخشونة والبدائية التي كانوا يعيشُون فيها ووضع لهم نظاماً للآداب العامة وأخذهم بالشدّة وكان الجداليون كثيرين وكانوا أهل فوضى وجفـــوة وقلة نظام ، فلم يلبثوا أن ثاروا على عبدالله بن ياسين وأخرجوه من بلادهم ؛ لأنهم لم يتحملوا عنفه وشدته (8) ، فلجأ عبد الله بن ياسين إلى شيخه وجاج بن زلو ، وطلب من يحيى بن عمر عقابهم على ما فعلوه ، فقام بذلك وجعلهم يطلبون عودة عبد الله بن ياسين إليهم، ولكنه رفض فنصحه وجّاج بأن يذهب إلى منازل قبيلة لمتونه ؛ لأن المستقبل لها بحكم موقعها الجغرافي المتحكم في الطريق

الشمالي المؤدي إلى المغرب وبحكم شجاعتها وشدة مراسها في القتال ولأنها كانت أكثر قبائل صنهاجة انقياداً له وأشدها طاعة الله - تعالى - وكانوا أميل إلى النظام والتماسك والعمل الجاد [9].

بعد أن تأكّد عبد الله بن ياسين من أنّه كوّن جماعة من المُخلصين خـرج بهم إلى جزيرة في المحيط لكيّ يفرغـوا إلى العبادة وهناك أنشأ رباطاً لم يلبث أن اتسع وكثر الناس فيه فلما رأى عبد الله بن ياسين وفرة أعدادهم وحماسهم قال لهم : (أخرجوا فأنتم المرابطون)، وعندما اكتمل عدد هؤلاء الرجال ألفاً أمرهم بالخروج إلى البر والسير للجهاد ، وكان ذلك سنة 445 هـ / 1053 م [10], عبر عبدالله بن ياسين على رأس رجاله الصحراء متجهاً إلى الشمال فاستطاع أن يستخلص سجلماسة من يد المغراويين ثم سار إلى الشمال ونزل سهل مراكش ، وكان ذلك سنة 450 هـ / 1058 م ، ,بعد ذلك رجع عبد الله بن ياسين إلى الجنوب فعبر الصحراء وهاجم أهل السودان الغربي واستقر عليهم وبذلك فتح أمام صنهاجة أبواب التوسع شمالاً وجنوباً ، وفي تلك الحروب قتل عبدالله بن ياسين سنة 451 هـ / 1059 م [11], بعد مقتل عبد الله بن ياسين واصل السلطان أبو بكر بن عمر وقبيلته لمتونه السير بالحركة في طريقها وكان يستعين في عمله بالظاهرين من قرابته وأهل بيته لاسيما ابن عمه يوسف بن تاشفين وكان آنذاك شابا واسع الطموح [12]، وبينما كان أبو بكر بن عمر يرقب العمل في بناء مدينته الجديدة بلغه أن قبيلة جدالة وثبت بقبيلة لمتونه في الصحراء وأنزلت بها مذبحة، فقرر العودة مسرعاً إلى منازل صنهاجة في الصحراء لنجدة لمتونه وقبل رحيله جمع رؤساء قومه وطلب منهم أن يختاروا من بينهم رئيساً لهم يقوم بأمرهم في غيابه فاختاروا ابن عمه يوسف بن تاشفين وترك ابو بكر ثلث القوة المرابطية مع يوسف بن تاشفين ، وكان ذلك سنة 463 هـ / 1063 م [13].

يعد يوسف بن تاشفين من أعظم رجال الدولة المرابطية الذين أنجبهم المغرب الإسلامي وكان له أبعد الأثر في توجيه تاريخه، وقام بدور أساسي في ـ إنشاء المغرب الأقصى وإعطاءه حدوده الطبيعية، فهو الذي وحد نواحيه من الصحراء الكبرى إلى ساحل البحر المتوسط، ومد حدوده من ساحل المحيط إلى شرق نهر المولوية، وضم اليه اقليم تلمسان والجزء الغربي من المغرب الأوسط حتى مدينة الجزائر، وكان من أبرز أعماله بناءه لمدينة مراكش سنة 454 هـ / 1062 م [14], اتخذ لقب أمير

المسلمين، وكان قبل ذلك قد دخل في طاعة الخليفة العباسي ويستظل برايته، كما جعل من سجلماسة قاعدة جنوبية لدولته، ثم دخل مدينة فاس وأصلح من شأنها وأكثر من إنشاء المساجد فيها، كما أفلح في التغلب على مقاومة كل القبائل التي كانت قد انفردت بنواحيها، وواصلت قواته سيرها شرقاً ودخلت مدينة الجزائر وهي أقصى ما وصل ليه شرقاً، ثم تجرد بعدها للاستيلاء على سبتة وطنجة في الغرب وكان ذلك سنة 471 هـ / 1078 م[15].

وفي سنة 475 هـ / 1082 م وصل يوسف بن تاشفين ذروة قوته في المغرب وذاع صيته، ولهذا كان الاستنجاد به من قبل الأندلسيين لنصرة الإسلام لمواجهة القشتاليين الذين أخذوا يستولون على البلاد الأندلسية وعدم قدرة ملوك الطوائف من مواجهتها " وقد حقّق المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين انتصارات عدة في الأندلس واستعادوا عدداً من المدن الأندلسية[16].

توفي يوسف بن تاشفين سنة 500 هـ / 1106 م وبوفاته اختفت شخصية من أجلّ الشخصيات في تاريخ الإسلام ؛ إذ كانت مآثره وأعماله وإنجازاته التي غيرت من وجه التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب، وبعد وفاة يوسف بن تاشفين تولى بعده ابنه على بن يوسف حتى عام 537 هـ / 1142 م, وبعد فترة غير قليلة من انتهاء حكم على بن يوسف بدأ الضعف يدب في أوصال دولة المرابطين ، إذ بدأ يتوالى على الحكم أمراء ضعاف النفوس ، لم يستطيعوا الحفاظ على دولة المرابطين في وجه حملة دولة الموحدين في إفريقية وثوار الأندلس، فما أن وافت سنة 540 هـ / 1145 م حتى انتهى ملك المرابطين وتم خضوع الأندلس وشمال إفريقيا لدولة الموحدين[17].

المبحث الثاني ـ المـــرأة ودورها السياسي في عهد المرابطين :

في المجتمع المغاربي الإسلامي، كانت هناك تسلسلات هرمية مختلفة، بدءًا من الطبقة الحاكمة إلى الطبقة الوسطى وعامة الناس. وضمن هذه التسلسلات الهرمية، كانت المرأة المرابطية تتمتع بمكانة أعلى، وكانت أكثر بروزًا في الحياة العامة، وكان لها نفوذ أكبر، وكانت أكثر حرية [18].

وقد احتفظت نساء مجتمع بادية لمتونة بمكانتهن في بلاط المرابطين ، ولم يفقدن حريتهن أبدًا، وكن يشاركن في شؤون الدولة، وكانت لهن السلطة . يقول المراكشي :

" واستولى النساء على الأموال وأسندت لهن الأمور وسارت كل امرأة من أكابر المتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد شرير وقاطع سبل وصاحب خمور ومخـــور"، ولأنهن كن يمثلن شرف المجتمع وأخلاقه وعقائده وتقاليده، فقد كن سببا في إحداث تغيير شمل أسس الدولة المرابطية، حيث ابتعدت المسافة بين فئتين الإدارة العليا التي يمثلها أمير المسلمين والفئة التي يمثلها الولاة وهم ولاة يتصرف النساء في شؤون ولايتهم[19].

كان للمرأة المرابطية شأن مهم داخل المجتمع المرابطي واشتهر عنها دورها وتأثيرها الكبير في توجيه البيت والأسـرة فكانت نساء الأمراء والنبلاء والقادة والعمال وغيرهم من الملثمين عرفن سلطة ونفوذ كبير، ولقد تمتعت المرأة بوضع كريم في القبيلة الصنهاجية وتشارك في أمور العامة وتتمتع بقسط وافر من الحرية حتى أنها كانت تختلط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات المختلفة [20].

ـ **التدخل في الحكم :** زينب النفزاوية : هي زينب بنت إسحاق من شهيرات النساء في المغرب وكانت إحدى نساء العالم المشهورات في الجمال والرياسة وهي من قبيلة نفزة من بربر طرابلس الغرب، كانت تستوطن أغمات [21]، شاع ذكرها في قبائل المصامدة فكان يخطبها أشياخهم وأمرائها فكانت تمتنع وتقول: "لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله" فكانوا يرمونها بالحمق ويتحدثون عنها بخرافات متطرفة وغريبة فالبعض يقول أنّ الجن يكلمها والأخر إنها ساحرة والبعض يقول كاهنة [22] ، تزوجت في البداية بن يوسف بن علي المغراوي أمير أغمات وبعد وفاته علم الأمير أبو بكر بن عمر بجمالها فخطبها، وتزوجها، توعدته بالمال الكبير تخرجه له ثم أدخلته تحت الأرض معصب العينين وأزالت العصابة وفتح عينيه فرأى بيوتا فيها ذهب كثير والفضة والجواهر... تعجب أبوبكر كل العجب مما رآه فقالت له هذا كله مالك ومتاعك أعطاه الله إياك على يدي، ثم أخرجته معصب العينين دون أن يعلم ذلك الموضع وتزوجت زينب من أبو بكر في شهر ذي القعدة من عام 460 هـ / 1067 م وتمتعت هذه المرأة بمحاسن وخصال محمودة ورؤية مستطرفة [23].

بدأ أبو بكر في دعوته واستعان بزعيم من زعماء صنهاجة البربرية من أجل تحقيق ذلك أنشأ المصلح الديني (رباطا) في محل من الصحراء ومن هذا الرباط انبثقت نواة عسكرية ما لبثت أن سيطرت على المغرب كله واستولوا على أجزاء كفاس وأسست

مدينة مراكش وكان هذا التوسع بزعامة يوسف ابن تاشفين الذي تزوج هو الآخر بزينب النفزاوية في سنة 463 ه / 1070 مـ بعد أن طلقها أبو بكر بعد ثلاثة أشهر وسافر إلى الصحراء، وقد بسطت له ماله وأصلحت له أحواله وساعدته في بناء جيش عظيم بعد أن تجمعت حوله القبائل، وبتدبير من زوجته زينب النفزاوية بدأ في بناء دولته [24].

وقد ولدت زينب مولود ذكر لتاشفين سماه المعز بالله، وبه قويت شوكته، وفي هذه الأثناء تمكن أبو بكر بن عمر من إصلاح الشؤون في الصحراء وكان عليه العودة الأمر الذي جعل يوسف في موقف محرج إذ صعب عليه أن يتخلى عن ملكه ومنصبه، وهنا برز دور زوجته زينب النفزاوية التي كانت مدبرة الأمور فشاورها وكان رأيها بأن يظهر الغلظة وكأنه مساوم له ومقاوم إذ قالت له: " أراك مهموما مكروبا من وصول ابن عمك إلى ملكه الذي ولاك عليه والله لأذاق أبو بكر طعمها أبدا غضب نفسا وقر عينا", فقال لها: "إنه استخلفه إلى من بين كل بنية ويثق علي في هذه المملكة ولو كان غير ابن عمي لقاتلته" فقالت له: "أنا أدل والله"، فقال "ما ذلك يا زينب فإني والله أعرفك ميمونة" , فقالت له: "إذ قدم عليك وبعث مقدمات رجاله إليك فلا تخرج إليه، ولكن بادره بهدية جليلة فلا يقاتلك على الدنيا فإن الرجل خير لا يستحمل سفك الدماء على أمرك و*نفوذ بملكك، إن شاء الله" فقال لها "والله لا خالفتك في أمر تشيرين به أبدا". [25]

ثم رحل أبو بكر بن عمر بعد نجاح مهمته الدعوية إلى المغرب بجيوشه فأكرمهم يوسف ابن تاشفين إكراما يليق به واختاره أبو بكر يوسف نائبا عنه في الحكم في المغرب وأمره بالعدل والرفق بالمسلمين، ثم ودعه وعاد إلى الصحراء بعد أن زوده يوسف بطائفة عظيمة من الهدايا الجليلة، إذ أنّ أبو بكر قام بجمع أشياخ لمتونة وأعيان الدولة والكتاب والشهود وأشهدهم على نفسه بالتخلي ليوسف عن الإمارة وذلك لدينه، وفضله، وشجاعته، وحزمه. [26]

وهكذا كان لرأي زينب النفزاوية الفضل في حل هذا المشكل وذلك بإبداء يوسف الملاطفة وحسن الاستقبال بدل الغلظة والجفاء اتجاه أبو بكر، وهذا يدل على عاملين مهمان أولهما كون زينب تعرف طباع وشخصية أبو بكر وثانيهما أنها كانت كثيرة التجوال في المناطق الصحراوية مما أكسبها خبرة في معرفة نمط العيش وبهذا

يتأكد لنا أن زينب من أهم وأول دعائم يوسف بن تاشفين في إقامة دولته, إذ أن المساعدة المادية والمعنوية التي قدمتها زينب لزوجها بن تاشفين كانت وسيلة لامتلاك قلبه وتصبح لها الكلمة الأولى في بلاده ويتجلى ذلك من خلال اعتراف زوجها إذ كان يقول "أن البلاد فتحت برأيها." (27)

وبعد عده سنوات من البناء والدعوة ولدت زينب ابنا ليوسف اسمه الفضل الذي كان أحب الأبناء لقلبه، وعلى أية حال فإن زينب النفزاوية كان لها نفوذا قويا في تسيير الأمور العامة إذا لم تساعد زوجها في المحنة السياسية فحسب بل تدخلت في تعيين بعض الموظفين وعزلهم وامتحنت القاضي عبد العزيز بالأندلس ونحن نعرف أن في ذلك الوقت كان القضاة والفقهاء يتمتعون بنفوذ كبير جدا وكان سبب عزل هذا القاضي أنه بلغ زينب مدح حواء زوجه السيد بن أبي بكرة وفضلها على سائر النساء بالجمال والكمال فأمرت بعزله ولم ترده إلى منصبه إلا بعدما طلق حواء من زوجها فهذا يؤكد لنا أن هذه المرأة المرابطية القوية كانت صاحبة الكلمة الأولى في الدولة. (28)

مشاركة المرأة في القتال: شاركت المرأة المرابطية في القتال مع الرجال الملثمين إذ كن يتحجبن حتى يبدوا كالرجال فلا يميزهن العدو عن الرجال وقد عرفت مشاركة النساء المرابطات في القتال بشكل قليل جدا فنذكر منها:

.1- الأميرة نافو: هناك مصادر تذكرها باسم فانو وأخرى باسم فانون وهي فانون بنت عمر ابن المرابطين بن نيتان عذراء المرابطين وهي فتاة رائعة الحسن وفيرة الجرأة حملت السيف ودافعت عن دولتها ضد هجمات الموحدين وهي في هيئه رجل فتعجب الموحدون من قتالها وشدة ما أعطاها الله من شجاعة وهي بكر فاستبسلت في الدفاع مشهرة سيفها مناضلة طيلة نصف يوم قبل استسلام المرابطين, إذا وقع خلاف بين المرابطين على اثر وفاه تاشفين فقامت بعض الجهات باستغلال الوضع والثورة على المرابطين وقد وقع خلاف بينهم حول من يكون الولي فتدخل الموحدون عليهم وقد ساعد هذا الخلاف الموحدين على مواصلة انتصاراتهم ضد المرابطين إذ بلغ الموحدون مراكش في 541 هـ / 1146 م ونشبت بينهما حرب واستمر القتال خمسة أيام أدى إلى انتصار الموحدون وكانت هذه هي المعركة التي قتلت فيها فانو. (29)

وتحدث البيدق عن هذه المرأة حيث قال "... وبقيت المدينة لا يدخلها داخل ولا يخارج منها خارج فاستعمل عبد المؤمن بن علي السلاليم للأسوار وقسمها على القبائل

فسار الناس لقتالهم وكان القتال على القصر في الظهر، ولم يدخل حتى ماتت فانو بنت عمر ابن ينتان وكانت في ذلك اليوم تقاتل الموحدين وهي في هيئة رجل..."، وبعد وفاتها تمكن الموحدون من الدخول إلى مراكش كما ذكرنا سابقا وقتلوا من وجد بها من المرابطين سنة 541 ه /- 1146 م.

فهذا القتال لفانو ربما يدل على أن بعض النساء المرابطيات كن يخضعن لتدريبات عسكرية وفروسية وذلك للدفاع عن أعراضهن وشرفهن وبني جلدتهن، فلم يكن يكشفن عن أنفسهن للعدو إلا المقاتلة فانو التي سقطت قتيلة وافتضح أمرها وهذا دليل على أن المرأة المرابطية كان لها دور في الجيش المرابطي.

2- **تمكونت بنت الأمير سير بن أبي بكر:** التي وقعت في أسر الموحدين بصحبة ألف وخمسمائة امرأة مرابطية سنة 535 هـ -/ 1145 م وطالبت بمقابلة الخليفة عبد المؤمن بن علي وذلك بعد أنشفع لها أبيها لدى علي بن يوسف فراعى لها ذلك وأمره بإطلاق سراحها لكنها رفضت ذلك وأصرت على أن يطلق سراحها ومعها باقي الأسيرات فحصل لها ما أرادت وقد وصلت مراكش معززة مكرمة وفي المقابل أطلق المرابطون سراح الأسيرات الموحديات لأن أعرافهم الأصيلة تقضي بحرمة المرأة في الحرب.

كما تميزت النساء المرابطيات بالشجاعة والإقدام وتدرين على أعمال الفروسية، وفي هذا الصدد تذكر وثيقة مسيحية وجدت في سنة 1596 م أن جيش المرابطين ضم عدد من النساء اللائي شاركن في إحدى المعارك وكنّ يرتدي ثياب الرجال كما ذكرنا سابقا ويقاتلن على طريقة الفرسان، ويذكر أحد المؤرخين أن زوجة تاشفين بن علي خرجت على الفرس إبان المواجهة الأخيرة مع الموحدين في وهران. (30)

تولية المناصب: لقد عرفت المرأة في المغرب الإسلامي تدخلا في المجال السياسي والحكم للأمراء وولاة العهد وساهمت أيضا في تولية المناصب والعزل ونذكر منها:

1- الجارية قمر امرأة جميله ذكية تدير سياسة الدولة ولا يعقد الأمر إلا باستشارتها في كل الشؤون الإدارية والسياسية الداخلية والخارجية واستطاعت أن تقضي على كل منافسة لها أمام أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين. (31)

حيث تخلصت من الجارية ثرية بقتلها بالسم وتمثل نفوذها في إقناع أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين في جعل ولاية العهد لابنها "سير" في سنة 522 هـ /

1128 م إذ جمع أمير المسلمين أهل الحل والعقد من الفقهاء والقضاة وبني عمه وأخويه تميم كبيره وأخاه إبراهيم صغيره المشهور بابن تاعيشت وتم عقد البيعة لابنه سير ابن الجارية قمر يوم الجمعة وبهذا التصرف تزرع الجارية قمر بذور الشقاق والعداوة في العائلة الحاكمة أما تاشفين ابن الجارية "ضوء "الصباح" فقد ولاه على الأندلس, إذ كانت قمر شديدة الغيرة من تاشفين حيث ذاع صيته وشاع ذكره وبلغ مكانة عظيمة بسبب انتصاراته التي أحرزها على القوى النصرانية في الأندلس. (32)

وبعد وفاه "سير" تدخلت مرة أخرى في اختيار ولي العهد وعرضت على علي ابن يوسف ابن إسحاق ولاية العهد وكان هذا الأخير في منزلة ابنها أشرفت على تربيته بعد وفاة أمه وكاد أمير المسلمين أن ينزل على رغبتها لولا أن المرابطين قد اجمعوا على اختيار تاشفين لولاية العهد (33), ولكن قمر لم تهدأ وأعلنتها حربا على تاشفين إذ لم يبقى تاشفين طويلا في ولاية العهد حيث خلفه والده بحجة أنه لم يكن كفؤا لها وصرف في عهده إلى ولده إسحاق كذلك اخفت هذه المرأة نبأ وفاة علي بن يوسف مدة حوالي ثلاثة أشهر وكان هذا في محاولة منها لتقديم ابنها إسحاق لولاية العهد فلم تهتم بالأوضاع السائدة آنذاك في الدولة والتي تمثلت في خطر الموحدين (34)

ثم لم يعرف مصير قمر الذي تسبب في إضعاف الدولة والتأثير على أميرها في تولية المناصب واتخاذ القرارات وفي إشعال الفتنة بين الأقارب بأنانيتها وتشتيت ملك المرابطين على عكس زينب النفزاوية التي استطاعت بحنكتها أن تخدم الدولة المرابطية بصفة عامة وأمير المسلمين بصفة خاصة. (35)

2- الأميرة مريم بنت إبراهيم المرادي يعود أصلها إلى لمثونة وهي مريم بنت إبراهيم زوجه الأمير أبي طاهر تميم كانت من أهل الذكاء والنبل قصدها شاعر الأندلس ابن خفاجة يستشفع بها عند زوجها وكتب لها قصيدة نذكر منها:

وكافي احتماء ومكانة وصيانة إني علقت بذمة من مريم
ذات الأمانة والديانة والتقى والخلق الأشرف والطريق الأقوام
ملكتبه الأحرار إكرام حرة بسط المقل لها يمين المقدم

وأشاد ابن خفاجة على أصلها وجودها ومدحها وهنا ندرك دورها ونلمس مكانتها الرفيعة، فهذه الإشارات تعكس لنا الدور السياسي الذي لعبته هذه المرأة فكانت ترعى الشـــعراء وتجزل العطايا لهم وتعفو عن المسجونين والمعزولين عن مناصبهم (36)

الخاتمـــــة :

إن دولة المرابطين دولة مجاهدة قامت بدور هام في التاريخ الإسلامي بصفة عامة والتاريخ المغربي والأندلسي بصفة خاصة فقد تمكنت من نشر الإسلام وثقافته، فاقتحمت بلاد المغرب والأندلس فشهد بلاد المغرب بفضلها إبان القرنين الخامس والسادس الهجريين تحولا سياسيا بنيت على أسس اصطلاحية, لقد كان حكم دولة المرابطين لبلاد المغرب [37] والأندلس له واضح الأثر لاسيما في الميدان السياسي، الذي تجلى في دور المرأة ونفوذها بحيث كانت المرأة المرابطية ذات دهاء وكياسة وحنكة سياسية مما جعلها تتفوق على الرجال وتفرض شخصيتها ونفوذها في الشؤون السياسية والحكم، ولم يقتصر دور المرأة المرابطية على التدخل في شؤون الحكم وحسب بل تعدى ذلك إلى مشاركتها في القتال مع رجال وفي الحروب، ولكن نوعا ما كانت مشاركتها في هذا المجال قليلة, - أيضا- أسهمت المرأة المرابطية في مهمة تولية المناصب والعزل وحتى استشاراتها في الأمور الإدارية الخاصة بالدولة، وهذا يدل على أن المرأة في العهد المرابطي كانت تتمتع بقسط وافـــر من الحرية والتقدير والاحترام

الهوامـــــش:

1- حديث نبوي شريف روته أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ علاء الدين بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي المشهور بالمتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، طه، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ج 16، ص 407.

2- يذكر أن أمير جدالة يحيي بن إبراهيم الجدالي لقى في طريق عودته من الحـــج الفقيه أبا عمران الفاسي وطلب منه أن يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويقيم أحكام الشريعة بينهم، ولما عدم أبو عمران من يرغب في السير معهم من طلبة القيروان، دلهم على طلب بغيتهم عند الفقيه وجاج بن زلو، فانتدب وجاج لهذه المهمة أحد طلابه وهو عبد الله بن ياسين ؛ أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 165 ؛ وابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، (تحقيق إحسان عباس)، ط دار الثقافة، بيروت، 1983، ج4، ص وما بعدها؛ وحمدي عبد المنعم التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1997، ص 37 وما بعدها؛ مونتغمري :وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية (ترجمة محمد رضا المصري) شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط2، 1998، ص108.

3- Vincent Monteil: Morocco, translated by Veronica Hull, Vista books, Viking - press, London, New York, 1964, P38.

4- مصدر سابق.

5- البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 166 وما بعدها

6- أبو إسحاق محمد بن القاسم الرقيق القيرواني ابن أبي دينار) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة
التونسية، تونس، 1386 هـــ ، ص 102؛ وأبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري)، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، ج 2، ص 10.
Cambridge -Michael Brett and Elizabeth Fentress, The Berbers,BlackwellO UK&7 USA,1996,101.
8- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (تحقيق : محمد زينهم محمد) ، دار الفرجاني، القاهرة، 1994 ، ص 133 وشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب (تحقيق حسين نصار وعبد العزيز الأهواني) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983 ، ج 24 ، ص 265 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب، ج 4 ، ص 23 و 24 ؛ وحسن علي حسن الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي القاهرة، 1980 ، ص 352 و 303 ؛ وعصمت عبد اللطيف دندش دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (430 – 1038 /515 - 1121 م) مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1988 ، ص 106
9- محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي رسالة في أدب الحسبة والمحتسب: تحقيق ليفي بروفنسال ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في أدأب الحسبة والمحتسب ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، 1955، ص 12.
10- مصدر سابق، ج 3.
11- ابن العذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، ج3، بيروت
12- بوبة مجاني، النساء والسلطة، في بلاد المغرب خلال القرنين الثالث والرابع هجري (10-9م)، مجلة سيرتا منشورات جامعه منتوري قسنطينة، 2000، ص14.
13- جمال أحمد طه مدينة فاس في عصر المرابطين الموحدين، 448هـ / 1056م إلى 668هـ/ 1269م، (د.ط)، دار الوفاء الاسكندرية 2001، ص 153-154
14- حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة الدار البيضاء، 1986، ص234.
15- حومد، أسعد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1988م، ص126.
16- سعدون عباس نصر الله دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف ابن تاشفين المرجع السابق، ص 38-37
17- سهيلة عبريق شاعرات الأندلس من عصر الإمارة إلى نهاية عصر الموحدين، رسالة دكتوراه في الأدب، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ / 2008-2009، ص 182: 183.
18- سير بن أبي بكر: أحد قاده يوسف ابن تاشفين تقلد عدة مناصب في الوزارة واعتمد عليه كثيرا في فتح المغرب وعينه يوسف واليا على اشبيلية وهو زوج حواء بن تاشفين.
19- شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري (ت 749ه/ 1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2010م، ج4، ص127.
20- عادل عواد الطائي، الصفوف والخدمات في جيش دولة المرابطين (35-430هـ/13-1144م)، (د.ط)، العراق، الموصل، 2012، ص444.

21- أغمات: مدينة بالمغرب الأقصى بقرب واد درعة كانت من أكبر مدن جبل درن الأطلسية تعد أغمات عاصمة المرابطين الأولى قبل مراكش أنظر الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 46؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص225.
22- عبد القادر بوباية مجلة فضيلة مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم وهران عدد ،76، جوان 2005، ص 159.
23- المرجع السابق.
24- عبد اللطيف دندش دور المرابطين في غرب إفريقيا، تح: ابن بكر العربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، (د.ت)، ص 136-137.
25- عصمت عبد اللطيف دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف (510-540هـ/1116- 1151م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م، ص 316.
26- المرجع السابق
27- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص315. 4- نبيلة عبد الشكور إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب، المرجع السابق، ص76.
28- علي محمود الصلابي، فقه التمكين عند دوله المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة مصر، 1427هـ/2006م، ص 56.
29- نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص339.
30- المرجع السابق.
31- عيسى بن ذيب المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية اقتصادية 480-541هـ/1051-1095م رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص124.
32- محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ط1، ج2، دار الفكر للطباعة، 1404هـ/1984م، ص 180.
33- مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين، رسالة ماجستير في التاريخ والآثار، بجامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (د.ت)، ص 75-76.
34- مليكه لحميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين (541-448هـ/ 1056-1146م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعه، الجزائر، 2001-2002م، ص 80-82.
35- المرجع السابق
36- نبيلة عبد الشكور إسهامات المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي من النصف الثاني من القرن السادس إلى القرن التاسع للهجرة والثاني عشر إلى الخامس عشر ميلادي رسالة دكتوراه في التاريخ المغرب الإسلامي بجامعة الجزائر، 1429هـ / 2009م، ص84.
37- يطلـــق اسم بلاد المغرب على المنطقة التي يحـــدها مصر شرقاً، والبحر المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً، والمحيط الأطلسي غرباً، وتنقسم بلاد المغرب إلى المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، والمغرب الأقصى: يحده نهر ملوية شرقاً، ويفصله عن المغرب الأوسط، ثم المحيط الأطلسي غرباً، والبحر المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى، وبلاد السودان جنوباً، ينظر: عبد الحميد هلال عبد الحميد، الزراعة في المغرب الأقصى في عصري الموحدين وبني مرين (524-956هـ / 1130-1549م)، رسالة ماجستير، كلية الآدب- جامعة المنصورة، د.ت، ص9.
38-Hattstein, Markus / Peter Delius (Hg.): Islam, Kunst und Architektur, Mit vielen Abb., EA, Köln, Könemann 2000